خاطب فيها العقل والحس والشعور كما قلنا ، ورد حياتها عليها من خلال صور الفن التى ترتضيها . ولم يقيد الشاعر العربى نفسه بما أراده « شينييه » حين رأى ذلك الرأى أو ذاك ، وإنما قيد نفسه بما يتمشى مع نفسه ويتجاوب مع مجتمعه ، وما كان له أن يخرج عن ذلك كله ، فاذا سارت الأمور حسبما يقتضيه سير الأمور نظرنا إليه فلم نر فى مدرسة البديع أو فى غيرها إلا أفكاراً قديمة فى صياغة جديدة . . . فاذا كان هذا غير ما قاله الشعراء فى غير البيئة والعصر والتقاليد وما تطبعه بصمات الحياة أخذنا نحكم على الشعر العربى بأنه بقى بعد ظهور الاسلام وحتى القرن الأول والثانى والثالث كذلك على حاله ومكانه أو كما يقول الدكتور مندور :

« وإنما كان هـــذا الاختمار وتلك الهزة فى القرن الرابع والخامس ، حيث ظهر المتنبي وأبو العلاء ، فهما الثمرة الحقيقية لحركة الانتعاش الروحى التى قامت على الثقافات الأجنبية ، عندما تم امتزاجها بالتراث العربى »[1] .

ومن هنا نغفل جهد الشاعر العربى الذى جعل من فنه مرآة العصر الذى عاش فيه وعاش فيه مجتمعه فى العصر الاســلامى الأول ، أو ما بعد ذلك من عصور . وكأن الشعر رهين الأسر لم يتحرك إلا بمقدار حتى جاء « المتنبي » أو جاء « أبو العلاء » . ولكن النظرة النقدية التى تنظر إلى الشعر العربى على هذا النحو يكون من اليسير عليها أن تلحق المتنبي أو غيره بالسابقين جميعاً دون أن ترى فيه أو فى القرن الرابع والخامس أية هزة تذكر . ونحن لا نعرف عن «المتنبي» أنه خرج بالشعر العربى عن نطاقه الغنائى أو نقله النقلة التى تبتعد به عن أدب الجزئيات إلى أدب الكليات . . وإذا كان « المتنبي » فى إطار الشعر الغنائى قد قال أفكاراً جديدة فى صياغة قديمة ، فان خصوم المتنبي من النقاد قادرون على أن يضعوا شعر « المتنبي » فى نفس الميزان

---

(١) النقد المنهجى ص ٥٤ .